مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 02 (2022 م) ـ ص ص 257 – 272
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

الشَّيخ الأخضـر الدَّهمة وجُهـوده التفسيرية واللّغوية من خلال تفسيره: "قطوف دانية من سور قرآنية"

Sheikh Al-Akhdar Al-Dahm and his interpretive and linguistic efforts through his interpretation: Easy extracts from Quranic chapters

ميلود عمارة (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
miloud.am84@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/11/14	2022/12/23	2023/01/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يعنى هذا البحث بإبراز جهد تفسيري لعلم من أعلام الجزائر في العصر الحديث، وهو الشّيخ الأخضر بن قويدر الدّهمة المتليلي، وذلك من خلال تفسيره المطبوع باسم: "قطوف دانية من سُور قرآنية" محاولا تبيان منهجه الذي أسس عليه تفسيره وكذا آرائه اللّغوية والبلاغية التي تضمنها تفسيره، فهو وإن لم يكن تفسيرا مستوعبا لجميع سور القرآن، لكنّه أودعه من الدُّرر والفوائد المتنوعة التي جادت بها قريحة الشَّيخ وبخاصَّة تنزيلاته بعض الآيات على الواقع الحاضر، لذلك ارتأيت أن أكتب في هذا الموضوع الذي يرمي إلى إبرازِ مكانةِ هذا العالم الرّباني، وتقدير عطاءاتِه العلمية في قضايا اللُّغة والتّفسير القرآني حقَّ قدرها.

الكلمات المفتاحية: الدهمة؛ جهود؛ التفسير؛ اللّغوية، قطوف.

Abstract :

This research is concerned with highlighting an explanatory effort for one of the most prominent figures in Algeria in the modern era, which is Sheikh Al-Akhdar bin Quwaider Al-Dahma Al-Mtilili, through his printed interpretation under the name: “Easy extracts from Quranic chapters”, trying to show his approach on which he based his interpretation, as well as his linguistic and rhetorical views that were included in his interpretation. Although it is not a comprehensible interpretation of all the surahs of the Qur’an, it is nonetheless deposited in it from the pearls and various benefits that the sheikh’s heart found, especially his revelations of some verses on the present reality. Therefore, I decided to write on this topic that aims to highlight the status of this divine scholar, and to appreciate his scientific gifts in the field of knowledge. Issues of language and Quranic interpretation are well appreciated

Keywords: Al-Dahmad; efforts; interprétation; Linguistic; excerpts.

(*) المؤلف المراسل.

1ـ مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أشهد أنَّ محمَّدا عبده ورسوله، ثمَّ أمَّا بعدُ:

فقد اعتنى علماء الاسلام قديما وحديثا بعلوم القرآن الكريم وبرزت جهودهم من خلال تراثهم الزَّاخر ومُؤلَّفاتهم المتكاثرة، وقد كان لعلماء الجزائر حظّا وافرا في خدمة القرآن الكريم وعلومه في مختلف وسائل بيانه وتدبُّره، ومن هؤلاء العُلماء الشّيخ: الأخضر بن قويدر الدّهمة المتليلي، أشهر علماء المالكية في ولاية غرداية، أفنى حياته في خدمة القرآن الكريم؛ حفظا وتفسيرا، وقد تجلّى ذلك في مؤلّفاته ومحاضراته.

وسأحاول في هذا البحث إبراز جهود الشَّيخ الدَّهمة في تفسير بعض السُّور القرآنية من خلال كتابه الموسوم: " قطوفٌ دانيةٌ من سورٍ قرآنيةٍ"، ويهدف إلى الاعتراف بجميل جهوده في التّفسير اللّغوي وبخدمة تُراثِ علمائنا المكنون، وكذا حسن استغلال دُررهم الثّمينة؛ المخطوطة منها، والمسموعة والمكتوبة، يروم بذلك إبراز مكانةِ هذا العالم الرّباني، وعطاءاته العلمية في قضايا اللّغة والتّفسير القرآني، ثمّ محاولة التوجيه إلى طُرق الاستفادة منها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف المتوخَّاة من هذا البحث الذي أسميته: (الشَّيخ الأخضر الدَّهمة وجُهوده التفسيرية واللغوية من خلال تفسيره "قطوف دانية من سور قرآنية)، استهدف هذا البحث: المنهج الوصفي والتحليلي، مبرَزا في ثلاثة محاور أساسية، وهي:

المحور الأوّل: التّعريف بالشَّيخ الأخضَر الدّهمة؛ نشأتُه، مذهَبُه، وإنتاجُهُ العلميّ.

المحور الثَّاني: جُهُوده في التَّفسير.

المحور الثالث: مَنْهَجُ الشَّيخ الأخضَر الدَّهْمَة في تفسيره: "قُطوفٌ دانيةٌ"

2. المحور الأوّل: التعريفُ بالشَّيخِ الدَّهمة؛ نشأتُه، مذهَبُه، وإنتاجُهُ العلميّ. (1)

- اسمُهُ ومَولِدُهُ: هُو الأخضرُ بن قويدر الدّهمَة، من مواليد عام 1925هـ ، في مدينة متليلي، ولاية غرداية، إحدى الولايات الجنوبية الجزائرية، من أبرز عُلماء المالكية بولاية غرداية، وأشْهر أعْلامهم.
- نشأتُه: نشأ الشّيخ في مدينة متليلي، وختم القرآن على أحد معلميها؛ وهو السّيد محمَّد كديّد – رحمه الله– وتعلم شيئا من الفقه. تلقّى علومَ اللّغةِ العربيةِ، والفقه الإسلامي على المذهَبِ المالكِي على يد الشّيخ محمّد الأخضر فيلالي (ت 1979م). أحد تلاميذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس–رحمهما الله– في ولاية غرداية 1942م.

ويعدُّ الشّيخ الأخضَر ثالثُ الثَّلاثة الذين اختارهم الشّيخ فيلالي ـ رحمه الله ـ لاستكمال دراسته بجامع الزّيتونة في تونس حسب المقرّر الذي وضعه لها الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور –رحمه الله– وذلك من عام 1946م إلى عام 1950م، وتخرّج بشهادة "العالِمية" التي كان يمنحها جامع الزيتونة آنذاك .وقد أكرمَـه الله تعالى بالدّراسة على يد مشايخ الزَّيتونة، وهم كثيرون.

وانطلق بعدها في التربية والتعليم والإصلاح بمدرسة حُرّة في عين بَسَّام ولاية البويرة، وبعد إغلاق السُلطة الفَرنسيّة للمدرسة نهائيا 1976م، عاد إلى مدينة غرداية لمواصلة رسالته التَّربوية والإصلاحيَّة بمدرسة العِرفان التَّابعة "لمسجد حمزة" مع بعض الزُّملاء في ظروفٍ صعبَة جدًّا نجمت عن تصرّفات السُّلطة الأجنبية التي استمَرَّت إلى إيقاف النَّار.

وبعد الاستقلال التحق بالمدرسة الرّسمية إلى جانب قيامِهِ بمهام ثقافيَّة واجتماعيَّة وسياسيّة وإداريّة، ثمَّ انتقل إلى متليلي حيث تولّى مهام الاستشارة التربويَّة تارة، والتفتيش تارة أخرى، وبعدها كلّفته وزارة الشّؤون الدينية بالتفتيش في ولاية غرداية، لكنه طلب الإعفاء بعد سنتين من ذلك لأسباب صحية. ومازال منذ الاستقلال إلى يومنا هذا يواصل عِمارة بيوت الله في متليلي وغرداية بالتوجيه والإرشاد وتفسير القرآن الكريم.

وفي سنة 1992م، أوقف الشيخ مكتبته . الثرية بمختلف المصادر . في سبيل الله لتبقى شاهدا على أعماله العلمية المكتوبة منها والمسموعة، وهي إلى الآن مقصد الطّلبة الجامعين والباحثين، إضافة إلى النّدوات مع الأئمة والأساتذة سعيا إلى إصلاح ذات البين بين أبناء البلدة والحفاظ على وحدة الأمة.

نقل أحد تلاميذه تزكيةَ شيخِهِ فيلالي له، وهي قوله: ((الشّيخ الدّهمة كالوادِ السَّلس إن لم تَسْأله لا يتحَدَّث، وإن سَأَلْتَهُ أو ثَوَّرتَ المعاني عِنْدَه دَفَقَ سَيْلُه))

- مذهبه: أما عن مذهبه الفقهي فمالكي المذهب، بل هو من أعيان وأئمة المالكية في غرداية، ولعلّ اختياره للمذهب المالكي يرجع إلى البيئة التي نشأ فيها، والعُلماء الذين تلقّى عنهم الفقه الإسلامي.
- أهمُّ النَّشاطاتِ العلميّة التي أُقيمَتْ حَولَه:

– قد احتضنت جامعة غرداية في جانفي 2015 ملتقى وطنيا بـــعُنوان: "الرّوافد اللُّغوية وأثرُها في درس التّفسير عند الشَّيخ لخضر الدَّهمة من خِلال مؤلَّفاته ومحاضراته"، وتطرّق إجمالا إلى كيفية الاستفادة من منهج الشيخ في إحياء منهج التّفسير البياني، ودورُه في تجديد درس التّفسير.

– إضافة إلى عددٍ من البحوثِ والمقالاتِ التي خصّتهُ بالدّراسة في مختلف المجلّات العلمية الوطنية، وكذا المداخَلات في قضايا التّجديد في التّفسير في الفَترة المعاصرة.

3ـ المحور الثاني: جهودُه في التّفسير:

أوّلا: عنايته بتفسير القرآن:

لقد اعتنى الشَّيخ الدَّهمة –حفظه الله– بتفسير القرآن اعتناءً بالغاً، ويعود ذلك إلى قناعته بأهميّة هذا العلم وشَرَفِهِ، وذلك لما يبعثه في قلوب النَّاس من روح الاسلام الصَّحيح، ومقاصِدِهِ السَّامية، فتصَدق أخباره، وتطبّق أحكامه على الوجه الذي أراده الله سبحانه وتعالى.

- **مجالات العناية:**

أ– التَّدْريس: من مجالات العناية بالقرآن وعلومه؛ تدريسُه في المؤسّسات التعليمية بعد الاستقلال، إذ دَرَّسَ اللُّغة العَرَبية والتَّربية الإسلامية، والتَّاريخ بولاية غرداية، بقلْبِ رَجُلٍ متشَبّع بحبّ الإسلام والوطنية، إلى جانب هذا كان يقوم بدروسِ دَعم وتقوية في اللّغة العربية لبعض الأساتذة والمعلّمين من خلال سلسلة: "النّحو الوافي" لعباس حسن.

وقد كان الشّيخ يزاوج بين التَّدريس النّظامي، والتّدريس في المؤسّسات الدينية التي يلقي فيها دروس الوعي والإرشاد وتفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث النّبوي الشّريف.

كما يضاف إلى ذلك كلِّهِ؛ مُشاركته في اللّقاءات العامّة، والنَّدَوات العِلمية الهادفة إلى بناء الوطن الجريح بناء متكاملا.

وبعد العودة إلى مدينة متليلي بإلحاح من أهلها قصد التوجيه الديني والإصلاح الاجتماعي، فمن ضمن ما أسند إليه درس الجمعة في الجامع العتيق، إضافة إلى حلقات في التفسير يلقيها على جمهور المصلين في بعض المساجد بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة الصبح في مسجد ذي النورين بمتليلي.

وفي سنة 1984م تقاعد رسميا عن التدّريس النّظامي، ليفرغ إلى التوجيه والإرشاد، ومنه تفسير القرآن الكريم في مسجد عُمَر بن الخطّاب؛ ففسّر فيه الفاتحة والبقرة وقصار المفصَّل في سنوات عدة.

ب– التَّأليف: كان اهتمام الشَّيخ بالتَّعليم المباشر والتَّوجيه والإرشاد أكثر من اهتمامه بالتَّأليف، ومع ذلك فإنَّ ممَّا تمكَّنَ من نشره مجموعة كتب في التفسير، وهي:

– "**قطوفٌ دانيةٌ من سورٍ قرآنيةٍ**"، مؤلّف مطبوع في جزئين، ج2: 380ص، ج1، 340ص، فسر في الأول الفاتحة وبعض سور المفصل، والآخر لجميع قصار المفصل.

– "**أضواءٌ على سورةِ الحُجُرات**". وهو مضمّن في الجزء الأول من كتابة " قطوفٌ دانيةٌ"

– "**إرشادُ الظمآنِ إلى معاني قَلْب القُرآن**".

– "**دروسٌ وعِبَرٌ من سورة الحشر**"، تحت الطَّبع لأوَّل مرَّةٍ.

– وقد ألّف كتابا في "**فقه المُعاملات**" ولكنّهُ لم يُطبَع بعدُ.

– ولـــــه **أشرطة** مسجّلة في تفسير سورة البقرة التي قدّمها في مسجد " عمر بن الخطّاب " بغرداية.

ثانيا: مصادِرُه في التّفسير:

1– **كُتُبُ التّفسير:** استفاد الشّيخ من تفاسير من سبقه –كما أشار في المقدِّمة– علما أنّ الشّيخ كان مقلّا من النَّقل عن غيره، وكان غالبا ما يُعَبّر بقوله: "قال بعض المفسّرين"، "وقد ذكر المفسّرون"... وقد وقفت على جُملَة من التَّفاسير التي صرَّح بذكرِ اسمها، أو اسم مؤلّفها، وهي:

–تفسير ابن كثير، ويوظّفه غالبا في التّحقيق، كما ساق كلامه في تحقيق قصّة أصحاب القرية، وقد يَذْكُر قصَّة أو رواية، وبعد سَوْقِهَا يقولُ: "عن تفسير ابن كثير".

–**تفسير الزَّمخشري:** يستفيد منه في بعض النُّكت اللّفظية، كما جاء في تفسير قوله تعالى: { وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} [الحجرات: 11]. (الدهمة، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 253)

– **تفسير القرطبي:** ينقل عنه بعض آثار الصَّحابة في التَّفسير، وأسانيد أسباب النزول، فيقولُ مَثَلا: "عن تفسير القُرطبي نقلاً عن الثّعلبي".

– **أبوبكر بن العَربي:** ينقلُ عنه مواضع تفسيرية دون إشارة إلى المؤلَّف، وفي مواضع يشير إلى كتابه: "أحكام القرآن".

– كما استفاد من تفسير الألوسي، و تفسير ابن عاشور في بعض القضايا اللُّغوية.

وطريقته في الاستفادة منها إجمالا؛ إمَّا بالنَّقل منها مباشرة، أو الاستشهاد بكلام مؤلِّفيها، أو نقل اختياراتهم التَّفسيريَّة.

– **كتبُ الحَديث النّبوي** : لم يَعْتَنِ الشَّيخ بتخريج الأحاديث النّبويّة في مقام الاستشهاد، وكان يكتفي بذكر الرّواية، كقوله: "فقد ورد عن النّبي ص أنه قال"، "وجاء عن النّبي ص قولُه"، أو "جاء في السُنّة"، كما أنّ الشّيخ لا يتعرَّضُ للحُكمِ عليها، ويكتفي بقوله: رواه ابن ماجه، رواه الترمذي . أمّا شروح السُنّة فمن خلال اطلاعي على تفسيره لم أجده يصرّح بذكرها.

ثالثا: التَّعريف بالمؤلَّف؛ سبب تأليفه، وميزته العلميّة:

ألَّف الشّيخ الدّهمة تفسيراً لبَعْضِ سُوَرِ القُرآن؛ أسْماه: "قُطُوف دَانية من سُوَر قُرآنية" مؤلَّف من جزئين، أَوْدَعَ في الأوَّلِ سُوَرا بِعَيْنها؛ وهي سُورة: الفَاتحة، ويس، والحُجُرات، والحَشْر، أما الجزء الثاني فَخَصَّصه لجميع قِصَار المفصّل؛ من سُورة الضّحى إلى سُورة النّاس.

وكانت طريقة الشّيخ الدّهمة قبل تأليف هذا التّفسير هو التّأليف الجزئي لسُور القرآن، إذ فسّر السّور القِصَار لوحدها، وسورة الحُجرات لوحدها، والحشر، وهكذا، ثم اهتدى إلى جمعها في كتاب واحد وغرضه من ذلك هو مُعالجة الأمراض الاجتماعية، والتّوجيه إلى ما يَصْلُح من الأفكار.

وقد طُبع تفسيرُه في مطبعة مِداد، غرداية، الجزائر، 1431هـ- 2010م في مجلّدين وهي الطّبعة المتداوَلَة.

وكتاب" قطوفٌ دانيةٌ" هو تفسيرٌ لبعضِ السُّور مع مُقَدّمة للمُؤَلِّف بيَّن فيها الأعْمَال الأصْليَّة لمادَّة التَّفسير وهي عبارة عن دروسٍ تَفسِيريَّة في أحد مَساجِدِ متليلي، كما أَوْضح في مقدّمته الباعث على تأليفه لهذا التّفسير، وكذا منهجه فيه.

أما بخصوص الباعث على تأليف كتابه: فيقول الشّيخ الدّهمة في مقدّمة تفسيره: ((وكنتُ قبلاً أكتفي بمذكّرات وجيزة أُدَوِّن عَلَيْها العنَاصِر الرّئيسيَّة في الموضوع لأتوسّع فيها عند الإلقاء، ولكن بعض الأساتذة من أبنائي الرُّوحيين ألحّوا عليَّ في تلخيص هذه الدّروس على قراطيس لتكون تفسيراً يانعاً ميسَّراً يُساعدُ القارئَ على التصَوُّرِ الصَّحيحِ الواضح لمعاني الآيات، فأجبتهم إلى ذلك.)) (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 1)

وهدف هؤلاء الأساتذة من طلب التّأليف هو تعميم الفائدة من دُرُوس الشّيخ، وأن لا تَقْتَصِرَ على الحاضرين، فأجابهم إلى تفسير جميع سُوَر المفصّل بأسلوب مختَصَر يتناسَبُ مع طلاب المرحلة الثّانوية والجامعية لاحتوائها على تحليلات لُغوية مُتَمَيِّزة لا يتحمَّلُها عَوَامُ النَّاس.

ويقول في موضع آخر: ((وعلى سبيل التّجَاوب مع رَغَبَات بَعْض المعلّمين والأساتذة الذين كانوا يشرِّفونني بالحُضُور إلى دُرُوسي الشّفوية، أو بِقِرَاءة كُتبي المؤلَّفة، ثمّ يصارحونني بأنهم قد استحسنوا وانتفعوا باستعمال بعض قواعد النَّحو لتوضيح المعاني، وتطويعها للتَّصَوُّر السَّليم فقد لَبَيْت مَا رَغِبُوا فيه دون أن يُخرجَني ذلك من اعتبار القُرآن الكريم كتابَ هداية لا كتاب عُلُوم مختلفة.)) (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 7)

ويبيّن الشَّيخُ بعدها سبَبَ اقتصارِهِ في الكِتَاب على تفسير ما ورد فيهِ من سُوَرٍ محدُودَة، دون كلِّ السُّور فيقول في هذا: ((وبما أنّ أحوالي – الخاصَّة والعامَّة- لم تَسْمح لي بالرّجوع إلى كلّ ما مضى من دروس، فقد اقتصرتُ -في إجابتهم- على الدّروس التي كنت بصددها حينذاك، وما بعده.)) (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 2)

كما قدَّمَ بعدها الشَّيخ الطَّريقة التي اعتمدها وسار عليها في تفسيره وهي عدم التوسّع، والاقتصار على الفائدة، يقول: ((وقد تجنّبت فيه التوسّع فيما لا أراه مفيدا للقارئ من أفكار ثانوية، أو روايات مُتعدّدة بينما

توسّعت توسّعا – قد يلفُتُ النَّظر– فيما فيه تثقيفٌ للعقلِ، أو انْدِيَاحٌ[2] لدائرةِ الفَهْمِ، أو مادة لاستنباط العِبَر بما له صلةٌ بالآيات المفسَّرة.)) (الدهمة، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 3)

وبهذا يكون تفسير الشَّيخ الدَّهمة من التفاسير الميَسَّرة في لُغتها وبيانها، وهدفه في ذلك هو مساعدة جمهور المصَلّين على فهم ما يردّدونه كثيرا في صَلواتهم.

ويمتاز تفسيره باحتوائِه على المضامين الإصلاحية الموجَّهَة إلى الفِئَةِ المثقَّفة، ليجعل منهم جيلا يعتمدون في حياتهم على معاني القرآن الكريم، وما ينبغي لهم أن يفهموه من كتاب الله تعالى.

كما يركِّز التّفسير على معالجة القضايا الاجتماعية المختلفة، ويتجلّى هذا في اهتمامه بالبعد الواقعي في تفسيره، وكيفية تطبيق القرآن في حلّ مشاكل المجتمع. كما سيأتي في بيانِ منهجِه.

3 -المحور الثالث: منهجُ الشَّيخِ الدَّهمة في تفسيره: "قطوفٌ دانيةٌ":

أولا: المنهجُ العام لتفسيره:

ذكر الشّيخ الدّهمة في مقدّمة تفسيره "قطوف دانية" منهجه الذي اعتمده في تفسيره، يقول: ((ومنهجي في التَّفسير أن أتلُوَ الآيات التي أقصد إليها تلاوة متأنيّة أحاول بها اقتناص المعاني القريبة التَّناول وتحديد الآيات التي تستوجب الاستعانة ببعض كبار المفسِّرين ومحقّقيهم، وعند اختلافهم أُقارن بين أقوالهم محكّما النَّقلَ الصَّحيحَ والعقلَ الحَصِيفَ، والذّوقَ السَّليم فأستمسك بما يشهد له هذا التّحكيم، وأرفض ما سواه، ثمّ أرتّب المعاني وفق ما أرها حريّا بولوجها إلى أذهان المستمعين أو القُرّاء في يُسْرٍ وانسجام، ثمَّ أتوكَّل على الله في تسجيلها وإلقائها ونجاحها، مراعيا في الإلقاء تباين المستويات بحيث لا ينزعج المثقَّف بضياع وقته، ولا الأمِّيّ بِعُسْرِ فهمه، أمَّا هَذَا التَّفسير المكتوب فهو موجّه إلى ذوي الثقافة العامّة ممن يمكنهم متابعة البحث والتّحقيق، ومسايرة التَّحرير والتّدقيق في مباني الكلام ومعانيه، وهو لا يختلف عن التَّفسير المسموع من حيث المنهجية إنما يختلف عنه من حيث الاختصار والمستوى اللُّغوي المرفع، وتذييل كلّ سورة بما رأيته جديرا بلفت النَّظر إليه من معانيها أو مراميها أو أحكامها أو عظاتها.)) (الدهمة، 1431هـ–2010م ج1، الصفحات 2–3)

ومن طرق التّيسير والتَّنبيه على الإصغاء هو اعتماد طريقة طرح الأسئلة ثمَّ الإجابة عليها، ففي قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: 6] يسأل الشيخ: ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟ وبم أنعم الله عليهم؟ وما الحكمة من ذكرهم لنا؟ ولِمَ دعانا الله إلى الاقتداء بهم؟

وكذا في قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: 7] يَسأل: وما هو الشّيء الذي آتاه الرَّسول "ص" المؤمنين، وفي قوله تعالى: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} [الحشر: 9]،...يسأل: وماذا

أعطى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للمهاجرين؟

والملاحظ في تفسيره هو عدم اهتمامه بالبحث عن المبهَمات التي لا فائدة من ورائها، كالمبهمات التي جاء في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}....."والقرية لم يُسَمِّها الله تعالى لأنّ العبرة تحصُلُ بدون تعيينها" "والعبرة ليست متوقِّفة على معرفة أسمائهم، ولو كان في ذكرهم فائدة لأفادنا الله بها".

وكاسم الرَّجُل الذي جاء من أقصى المدينة يَسْعى، وعن كيفية قتله، وغيرها من الجزئيّات التي ((ولم يذكر في الآية اسم الرّجل الذي جاء يسعى، ولو كان في ذكر اسمه عبرة لذكره، إذا لا فائدة في البحث عنه....وأيّا مّا كانت كيفيّة قتله فهو شهيد.)) (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، الصفحات 97-102)

* كان يتطرّق لردّ الشُبهات المعاصرة والمفاهيم الخاطئة المتعارضة مع أصول الإسلام ومقاصده السَّامية، ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: 7] فبعد بيانه للأدلّة القطعية على ثبوت السُنَّة، ووجوب الأخذ بصحيحها لأنّها وحيٌ من الله؛ حذّر الشيخ من الطّوائف التي تهدم الإسلام، وخطر انتشارها في العالم الإسلامي وذكر منها ما يسمَّى بـ" القرآنيين" المنكِرينَ للسُنة، وكذا العلمانيين المحاربين للقرآن والسُنة معاً بدعوى الديمقراطية الوهمية.

كما حزّ في نفْسِهِ ما تعتقده الفِرقُ الضَّالة كغُلاة الشِّيعة التي لا تتورَّع عن سبّ الصحابة وكالخوارج والقاديانية، وغيرها ممن يرعاهم ويُشَجّعهم المحتلُّون الأجانب بغرض تطويع المسلمين لقبول احتلال بلادهم، ونهب خيرات أوطانهم. (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، الصفحات 384-385)

* الاعتناء بالجانب المقاصِدي في الشَّريعة الإسلامية فكان ينبّه في كلّ مناسبة على أنّ الإسلام دينُ السِّلم والأمان، لا الإرهاب والتَّرويع، فيحُثُّ على عدم الاعتداء على النَّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لأنَّ شريعة الإسلامِ جاءت لحفظِ الأعراضِ والأموالِ والأنفسِ، وأنَّ ما تعتقدُه بعض الفرق المضَلِّلة من الاعتداء على الأبرياء والإحراق يعتقدونه "جهادا" مما جعل غير المسلمين ينفُرون من الإسلام، ويُسَمُّونه بالإرهاب والهَمَجيَّة، وكان الشّيخُ في كُلِّ هذا يُدَلِّلُ على ما يقوله من القرآن والسُنَّة، كونهما المنهج الأسلم اعتقادا وعبادة ومعاملة.

مثال: {وَجَعَلْنَاكُم شُعوباً وَقَبائِلَ لتَعارَفُوا} [الحجرات: 13]، يقول: ((ومما تجدر التَّنبيه عليه أنَّ الاهتمام بمعرفة النَّسب من أجلِّ صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب مَطلوبٌ شَرعاً...وكذلك الاهتمام بالمحافظة على طُهْرِهِ، والحذَر من اختلاطه، وهو من مقاصد الشَّريعة.)) (الدهمة، 1431هـ-2010م ج1، الصفحات 285-286)

وقد كان الشَّيخ يورد الآية ويَعقُبُها بمناسبتها لما قبلها[3]، ثمّ سَبَبِ نزولها [4] ، وبعدها يشرحُ الألفاظ

الغريبة، ثم يُبَيّن مفهومَ الآيةِ ومعناها؛ بعبارات مُتَعَدِّدة، منها: " معنى الآية، وحاصل المعنى، ومفهوم الآية"، وفي ثنايَا ذلك يُعنَى بمقاصد الآية ومَراميها، وبعض الأحاديث والآثار المعضّدَة للمعنى، بعبارات، منها: [5]

- " يُستنتجُ من الآية الكريمة"
- و"بناءً على هذا المعنى".
- و"الخُلاصَة أنّ الآية تَشْمَل عَلى كَذَا"
- و"يُستفَادُ مِنَ الآية الكريمة كذا".

ومن منهجه إيراده مُصطلحات مُبَيّنَة لِلْمَعنَى ومُرْشِدَة للصَّوَابِ، كالتّذييل والتَّنبيه، وغَيْرها.

- فالتَّذْييل: هو تعقيبٌ على المعنى بما له صلة بالموضوع، وغَرضُه توكيدُ المعنى.
- والتَّنْبِيه: هو إعْلَامُ مَا في ضَميرِ المتَكَلّم لِلْمُخَاطَب.

* لم يضمّن الشَّيخ تفسيره تَعْليقات أو تعقيبات في الحاشية، إلا عند شرح بعض المصطلحات، في النُّصوصِ المنقُولَة أوْ الآثَار.

ثانيا: المَنْهَج التَّفصيلي للمؤلّـــف:

1- مَوقِفُــه من العَقِيدَة:

من خلال تفسير الشَّيخ، وبناءً على عدّة نُصوص منهُ يمكننا القولُ أنّه يتبع مذهب السَّلَف الصَّالح في مسائل الاعتقاد، والردّ على المبتدعة وأصحابها، فهو يُثْبِتُ ما أثبته الله لنفسه من أسماء وصفات من غير تأويل لكيفيتها ولا تعطيل لماهيتها.

يقول الشيخ: ((والفرق بين وَحدَانِيَتِهِ في ربوبيته ووَحدَانِيَتِهِ في أسمائه وصفاته ووَحدَانِيَتِهِ في ألوهيته أنّ وَحدَانِيَتِهِ في ربوبيته تعني أنه وحده الحالق والمالك والمدبر، ووَحدَانِيَتِهِ في أسمائه وصفاته أنّ أسماءه الحُسنى وصفاته العُلى كاملة لا يشركه فيها أحد، وأنّ وَحدَانِيَته في ألوهيته تعني أنّه هو وحده المعبود بحقّ وما عداه من المعبودات فهي باطلة.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 371)

وفي ردّه على بعض الأقاويل البدعية الخُرافية التي يزعم فيها أصحابها أنَّهم يتكلَّمون مع الأموات ويصافحونهم، وولعهم بالكرامات الزَّائفة يرى بأنَّ كلَّ هذا من السَّخافات المستخدمة لخدع عَوامّ النَّاس، ولضمان ولائهم الرُّوحي والمادي، وهو من الزَّيف والإثم الذي تتبرَّأُ منه عقيدة التَّوحيد. مُبيَّنا أنّ هناك

كرامات حقيقية يمنحها الله بعضَ أوليائِهِ المؤمنين المتّقين. (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 112)

وقد دافع عن عقيدة التّوحيد، ودَفَعَ ما يشوبُهَا من أعمال بدعية مُنْكَرة، كالتوسُّل بالميت لقضاء الحاجات، والطَّواف بالقُبُور كَمَا يفعله الجُهَّال، وأمثال هذه الأعمال. (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 182)

2- ملامحُ البُعْد الواقـعي في تَفْسِيرِهِ:

مما جاء في هذا المقاربة بين حال المنافقين الذين يَلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصَّدقات وهو عدم سلامة المسلم من ألسنتهم مهما كان تصرُّفه، وبين حال مجتمعاتنا اليوم الذّين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، يقول: ((...إذا رَضَوْا عن شخص بالغوا في مدحه، وقَلَبُوا سيّئاته حسنات، وإذا سَخِطُوا عليه تجاوزوا الحدّ في ذمّه، وقلبوا حسناته سيّئات .)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 262)

- قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [الحشر: 2]، يقول الشّيخ: تنبيه:" ذلك الظنّ الذي كان متواردا بين العرب المسلمين واليهود في المدينة المنوَّرة على عهد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قد تكرّر في عصرنا هذا بين الفلسطينيين واليهود الصهيونيين على أرض فلسطين العربية، فبعض الفلسطينيين يظنُّون أن لا طَاقَةَ لهُم بإخراجِ اليهودِ من أرضِهم، واليهود كذلك يستبعدون الخروج من فلسطين اعتمادا على ما عِنْدَهُم من أسلحة مُدمّرة ....والذي نرجوه من المولى عزَّ وجلَّ أن يأتيهم عقابَهُ من حيث لم يحتسبوا كما أتَى أسلافهم من يهود بني النّضير وقريظة...وما ذلك على الله بعزيز إن استقامَ العَرَبُ على شَريعة ربّهم والتزَمُوا بقرآنهم." ونفس الإسْقاط في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ} [الحشر: 11].

- مما ذكره في تَعَنُّت أصحاب القرية في اتباع الرُّسل الثَّلاثة، فذكر أنّهم لما عَدِمُوا الحُجَّة التي يَرُدُّون بها على دعوة الرُّسل لجأوا إلى التَّشاؤُم وإلى التَّهديد بالعُنْف {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[يس: 18]، وهذا دأب الطُّغاة على مرّ العصور حين يُعْوِزُهُم الدَّليل المقنع يلجأون العنف أو التَّهديد، وساق أمثلةً من أمثال هذه الرُّدود على الأنبياء السَّابقين يقول: ((كما يتمالأ الآن اليَهُود والمتهَوِّدون وعملاؤهم على إفراغ الإسلام من محتواه الذي من شأنه أن يبعث العزَّة والكرامة في نفوس معتنقيه، ويضغطون ضغوطاً مُلحَّةً ووقِحَة على الدُّول الإسلامية في العالم ليغيّروا مناهجَ التَّعليم في بلادهم، وذلك بحذف كلّ النّصوص الشّرعية التي تحيي في الشَّباب رُوحَ المقاومَة للعدّو

الأجنبي، وتحفظهم من الوقوع من فَريسة صائغة للظالمين المحتلّين لبلادهم.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، الصفحات 94-95)

وبعد تفريقه بين الإيمان والإسلام المستوحى من قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: 14] يستلهم منه قيمةً تربويةً عَمَلية ينبغي على المسلِم أن يمتثلَهَا يقول: ((وإذا كان لنا -نحن أبناء هذا الزَّمان- أن نستخلص درساً قيّماً من هذه الآية فهو أن لا نكتفي بالأعمال الظَّاهرة التي تميّز شريعة الله في الأرض دون أن تكون صادرة عن إيمان عميق تسري حرارتُه في الأفعال والأقوال سَريان الدّم في الأجْسادِ حتى لا تكونَ عبادتُنا وسائر تصَرُّفاتنا حركاتٍ وهيئاتٍ جوفاءَ لا مصداقية لها ولا أجر، وسُحْقاً ثمَّ سُحقاً للجهل الذي يجعل المسلم يعتقد أنَّه يُحسنُ صُنعاً بنفسه وهو مع اللهِ والواقعِ خلافُ ذلك.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، الصفحات 295-296)

ومنه ما جاء عند قوله تعالى: {وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الماعون: 3] فبعد بيانه لمعنى المسكين الجدير بالإنفاق وهو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدَّق عليه، يقول: ((والذي يحضُّ غيره على طعام المسكين يُفترض فيه أن يحضَّ نفسَه على ذلك؛ إلا أن يكون عاجزا، ومما يدخُل ضمن الآية الكريمة تلكم الجمعيات الخيرية التي يُؤسّسُها أصحابُها لدعوة النَّاس إلى التبرّع على ذوي الفاقة والإنفاق على مشاريع الخير.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 247)

ومما يتجلّى فيه البُعد الواقعي ما ذكره بعد تفسير قوله تعالى:{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }[الزلزلة: 7-8]، وما تشير إليه الآية من عدل الله تعالى المطلق بين النّاس، وكذا من قوله: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ }[الأنبياء: 47]

يقول الشّيخ: ((ولو أنّنا معشر المسلمين طبَّقنا في مجتمعنا هذا المبدأ العظيم وهو العدلُ الشَّامل بحيث ينال كلّ واحد ما يستحِقُّه من إكرام وتشجيع إذا أحسن عمله، ومن إهانة وعقوبة إن هُو أساء عمله دون التفات إلى الرَّوَابطِ النَّسَبِيَّة أو المصلحية، إذن لاستقامت الحيَاة وازدهرتِ الحضارةُ الرُّوحيَّةُ والعقليةُ والماديَّةُ.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 148)

3- موقِفُهُ من تَفْسيرِ القُرآنِ بالقُرآنِ:

مما يُلاحظ على تفسير الشَّيخ الدَّهمة-حفِظُه الله- هو اعتمادُه في تفسيرِ بعضِ المعاني القرآنية استناداً على آياتٍ أُخرى مبيّنة أو مفَصَّله للمعنى الأول، وإنْ لم يُشِر في كثير من الأحيان إلى الآية التي استفاد منها اختصارا، ومن تفسيره القرآن بالقرآن صَرَاحَةً نذْكُرُ:

– تفسير قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: 7] يفسّره بالمذكورين في سورة النساء عند قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [النّساء: 69]. (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 44)

– وعند قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} [يس: 11] يقول إنّ المراد بالذِّكْر – هنَا– القرآنُ العظيم، قال الله عزّ وجل في سورة الحِجر: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9] (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 77)

– {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} [الحشر: 14]، يفسّر الشيخ البأس بالعداوة والبغضاء استنادا إلى قوله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} [المائدة: 64]، يقول: ((وهذا المعنى هو المقصود من البأس في سورة الحشر–والله أعلَمُ– والقرآنُ يُفَسِّر بعْضُهُ بعضاً.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 401)

4– تفسير القُرآن بالسُنَّة:

من خلال تفسيره يتَّضِح أنّ الشَّيخَ لم يُكثر من الأحاديث المباشرة في التَّفسير؛ الذي يُمكن تَسميتُه "التّفسير النّبوي"، بل أكثر من الأحاديث والآثار كشواهد وأدلّة على ما يذكره من آراء في الآية، ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:{ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: 12] يقول: ((المراد بآثارهم ما خلَّفوه بعد موتهم مما يجلب لهم الخير أو الشرّ " كعِلْمٍ عَلِمُوهُ، أو كِتَابٍ أَلَّفُوهُ..أو بدْعَةٍ مُنْكَرَة نَشَرُوهَا...رُوِيَ عن رَسُولِ الله أنَّه قالَ: [من سنّ في الإسلام][6]...الحديث")) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 81)

أمّا التَّفسير المباشِر فقليلٌ، ومنه ما جاء في تفسيره آيَةَ "المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، يقول بأنَّ النّبي صلَّى الله عليهِ وَسَلَّم فسّرهم باليهود، لقولِهِ تَعَالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة: 60].

وفي " الضَّالين" فَسَّرَهُم النَّبي صلَّى الله عليهِ وَسَلَّم بالنَّصَارَى لقَولِهِ تَعَالَى:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }[المائدة: 77].

وكما جاءَ جَلِيًّا عند تَفسيرِ قولِهِ تَعَالَى:{ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ }[يس: 65]، إذ يقول: ((وتفسيرا لهذا المعنى يقولُ الرَّسول صلَّى الله عليهِ وَسَلَّم فيما رواهُ مُسلم: [...فيختِمُ الله على فيهِ فيقولُ لأركانِهِ: انْطُقِي، فتَنْطِقُ بأعْمَالِه، ثُمّ يُخلَّى بينَهُ وبين الكَلامِ، فيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً..] (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ–2010م ج1، صفحة 159)

5- القَـضَايا اللُّغَـويّة والبَـلاغيّة فِي تفْسيرِه:

يتميَّزُ تفسير الشَّيخ الدَّهمة "قُطوفٌ دانيةٌ من سُوَرٍ قُرآنية" بغلَبَةِ الصِّناَعةِ اللُّغويةِ بمستوياتها المتَعدّدة فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتِ كتابهِ من مَسألةٍ نحويةٍ أو قضيةٍ صرفيةٍ أو نُكتةٍ بلاغيةٍ، مما يعكس اهتمَامَهُ البَّالِغَ باللُّغة العَربية، وإشارتِهِ إلى دَورهَا المهِمّ في بيان مُراد الله تَعالى.

أ- القَضَايا اللُّغَويَّة:

فمما أورده في المسائل النحوية المتميزة ما جاء في تفسير "بسم الله" أول سورة الفاتحة وهو أنّ معنى الباء في "بسم الله" للملابسة، ومثلها الباء في قوله تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ } [البقرة: 206] ويعد معنى "الملابسة" بهذا المصطلح مما انفرد به الشَّيخ لعدم وروده في المؤلَّفات النّحوية.

وفي بيان معنى الهداية (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 39) في قوله تعالى:{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }[الفاتحة: 6] جاء في صيغة الأمر، وعلى سبيل التأدب مع الله عزّ وجلّ، ويعربه النحاة: فعل دعاء.

كما ينبّه على التّصويب اللُّغوي واللّحن الذّي يقع فيه بعض النَّاس وخاصّة القُرّاء، ومنه ما يرد من فتحهم همزة "اِهْد"، فينقلبُ المعنى من طلب الهداية "اِهْد" إلى طلب الهدية "أَهْدِ"، وهو لحنٌ جلّيٌ يجب تجنُّبَهُ في التِّلاوة.

ومن مجالات العناية اللُّغوية؛ اهتِمامُهُ بالفُروقِ اللُّغوية الدَّقيقة في شرح بعض الألفاظ: كالسَّفع والصَّفع، والتَّجسُّس والتَّحسُّس، والبَأس والبُؤس...وغيرها.

ب - القضايا البلاغية:

تطرّق الشيخ في تفسير سورة القارعة مثلا إلى قضايا بلاغية هامّة من تشبيه وكناية، يقول: ((والمبثوث: المتفرّق المنتشر، شُبّه النّاس عند خروجهم من قبورهم بالفَراش، ووجه الشَبه بينهم وبين الفَراش؛ الانتشار والذّهاب والمجيء والاضطراب والضّعف فالنّاس في ذلك اليوم يكونون هائمين لا يدرون أين يتوجّهون ولا يعلمون ماذا يصنعون)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 167) كما أوضح وجه الشَّبَه بين الجبال والعِهْن بأنها خفّة الوزن واختلاف الألوان، وأيضا عرض معنى الكناية الواردة في بيان ثقل الموازين وخِفَّتها والتي تعني كثرة الحسنات وقلَّتها، وعن المجاز فيها يقول: ((ووصف العيشة بالرّضا على سبيل المجاز، وإلا فإنّ العيشة لا توصف بالرّضا، ولا بعدمه، وإنما الذّي يوصف بذلك صاحبها... "أُمُّهُ" يراد بها - والله وأعلم- المعنى المجازي أي: هو يأوي إلى الهاوية

كما كان يأوي إلى أمّهُ التي ولدته، وهذا على سبيل التهكّم به.)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 170)

ومن مواضع تعرّضه لبلاغة الأساليب وأفانين الكلام، ما جاء عند تفسير قوله تعالى:{ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد: 4] ((والتّكنية بحمل الحَطَب عن إيقاد نار الفتنة والعداوة بين النّاس معروفة عند العرب، يقال: هو يحمل الحطب بينهم أو هي...)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 303)

كما تكلّم في ظاهرة "العدول البلاغي" في استعمال حروف المعاني وسرّ توظيفها بما يخالف مقتضى الظّاهر، ومن ذلك ذكره لنكتة العدول عن توظيف "سَوْفَ" للدّلالة على المستقبل البعيد إلى استعمال السّين الدّالة على القُرب، وهذا عند قوله تعالى:{ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ }[المسد: 3] ((وبما أنّ النار التي توعّد بها أبو لهب تقع في المستقبل البعيد في عُرْفِنَا كان الموضع يقتضي "سَوْفَ" التي تمحض المضارع للدّلالة على المستقبل البعيد، ولكن عدل عنها إلى السّين من باب: "كُلُّ ما هو آتٍ قريب".)) (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، ج2، صفحة 302)

أمّا عن المصطلحات البلاغية التي اعتنى بشرحها، وتقريب معانيها؛ فكثيرةٌ، منها:

- "**الاحتباك**": وهو أن يحذف من الأوّل نظير ما أثبت في الثّاني، {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[يس: 22] والتقدير: وما لي لا أعبد الذي فطرني وفطركم، وإليه ترجعون وأرجع.

-"**الاحتراس**"[7]: وهو: إزالةُ الوهم الذي قد يسبق الأذهان.

-"**الاكتفاء**": ومنه قوله تعالى:{ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[يس: 40]. أي لأنّ التقدير: ولا القمر يدرك الشمس، ولا النهار سابق الليل.

-"**الإظهار في موضع الإضمار**"[8]، وهو كثيرٌ، ومنها: "تشابه الأطراف" (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 138): وهو إعادة اللّفظ الأخير؛ المذكور في جملة سابقة في صدرِ جملةٍ لاحقةٍ، { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }[القدر: 2-3].

ومن المسالك اللّفظية النّادرة، ما ذكره الشّيخ (الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م ج1، صفحة 128)في جملة: "كُلٌّ في فَلَكٍ" أنها تُقرأ من آخِرها كما تُقرأُ من أولها، ومثلها في ذلك قوله تعالى: "وَرَبَّكَ فَكَبِّر"، ولعلَّ الشّيخ استفاد من العلامة ابن عاشور في هذا، فقد قرّر هذا في تفسيره واعتبرها من مُبتَكرات القرآن، وضربٌ من الإعجاز (ابن عاشور، 1984م، ج17، صفحة 62). وهو نوعٌ يُسمّيه الأدَباء: "المقلوب المستوي"[9].

وبهذا يتّضح لنا أنّ تفسير الشَّيخ يهتمّ كثيرا بالقضايا اللّغوية المتعلّقة بالتَّفسير، وهو بذلك يعدُّ من التَّفاسير اللُّغوية والبلاغية التي تمتاز بقرب فهمها وسهولة طرحها، ومما أكسبهُ مَهَارةً في إتقانِ هذِهِ الصَّنعة هو نشاطه الدَّعويّ، ورسالته التَّعليمية التّي يؤدّيهما طول حياته، فكأنّه يشير إلى أنّ معظم الْتِبَاسَات الدّلالة وسُوء الفهم الواقع عند كثير من النّاس وكذا المتعلّمين في بعض الآيات القرآنية؛ هو مِن عدم إتقان الأداة اللّغوية نحواً وصرفاً وبلاغةً، كما أنّ الفترة التي عاشها أوّل حياته إبَّانَ الاستعمار كانت عصيبة بالنَّسبة للّغة العربية، فهي من الثَّوابت التي كان الاستعمار يحاربها ويحاول طمسها بشتى الطُّرق فكان الشَّيخ مُتأثّرا بمدرسة عبد الحميد بن باديس الدَّعوية الاصلاحية.

4. خاتمة

يمكن أن نستخلص من كُلّ ما سبق أنّ الشَّيخ الأخضر بن قويدر الدَّهمة من العُلماء المعاصرين المفسّرين للقرآن الكريم في الجزائر، تَشْهَدُ له جُهُوده العِلمية والإصْلاحِيَّة في خدمة كتاب الله تحفيظا وأداء وتفسيرا، كما يتجلّى جُهْدُهُ في ثنايا تَفْسِيرِهِ الفذّ: "قُطُوفٌ دَانِيةٌ من سُوَرٍ قُرآنية"، الذِّي ألَّفهُ لحلِّ القَضَايَا الاجتِمَاعيَّة بِلُغَةٍ فصيحةٍ متميّزةٍ، وأسْلُوبٍ سَهْلٍ يتَنَاسَبُ وَفَهْم المسلم المعَاصِر.

كما يعد تفسير الشيخ من التفاسير اللغوية والبلاغية التي اهتمت بشكل بارز بقضايا اللُّغة وأدوات التصوير، ودورها في بيان المعنى وجلائه.

وأختم هذا البحث بتوصيات هي لنفسي أوّلا ولطلبة العلم وجميع الباحثين، أهمّها:

- جمعُ دروسِ الشّيخ الصَّوتية بغرض كتابتها وتوثيقِها.
- تفعيلُ الموقع الالكتروني للشَّيخ قَصْد تعميمِ الفَائدَةِ من آثاره المسْمُوعَة والمكتُوبَة.
- توجيهُ الطَّلبة لدراسَةِ تَفسيرِ الشَّيخ؛ مِن مواضيع: التّفسِيرُ البيَاني، والتّفسيرُ الاجتماعي والإصلاحي، ومنهجه في التَّفسِير.

5. قائمة المراجع:

1. ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
2. ابن حجة الحموي، 2004م، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
3. الأخضر الدهمة، قطوف دانية من سور قرآنية، 1431هـ-2010م، غرداية، الجزائر، مطبعة مداد.
4. جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ط3.

5. حسن طبل، 1990م، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الكتب، دط.
6. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.
7. يحي بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 1423هـ ، بيروت المكتبة العنصرية، ط1.

الحواشي:

(1) . اعتمدت في ترجمته على ما كتبه أحد تلاميذه في آخر كتاب: قطوف دانية، ج2، ص359

(2) . يقال: داحَت الشَّجرة تدوح إذا عَظُمت، والدَّوح: البيت الضّخم الكبير، وانداح بطنه: خرج واستدار، ينظر: لسان العرب، ج2 ص436.

(3) . يذكر الشَّيخ المناسبة فيما إذا كان وجه الرَّبط بين الآية وقبلها من الآيات غير واضح، أمّا إذا كانت الآيات في تقرير شيء واحد على نَسَقٍ مُتَّصل فلا يَذكر المناسَبة.

(4) . يُعنى الشّيخ في كثير من الآيات بأسباب النزول بذكر مُلَخَّص السّبب من غير إسهاب في الرّوايات المتعدّدة إن وجدت، إلا أن تكون الرّوايات كلّها يحتملها المعنى فيذكرها مشيرا إلى عُموم الآية، يقول مثلا: "جاء في الرّوايات أنّ "أُمَيّة بن خلف" توجَّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظمُ إنسان رميم، فَفَتَّه وقال: يا محمّد أتزعمُ أنّ الله يحيي هذا بعدَ ما أرمَّ؟.. ويُروى أيضا عن العاص بن وائل، وأبي جهل. ويقول العلماء المحقّقون: لعلّ هؤلاء الثّلاثة جاءوا إلى النّبي "ص" في فترات مختلفة." ، ويقول في موضع آخر: "رُوي في نزولها روايات متعدّدة، منها... " ويذكر واحدة منها. كما جاء في سبب قوله تعالى: **{وإن طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقْتَتَلُوا}** بأنها القبيلة أو الرَّجُلين أو النَّفر، فيعقّب على أنّ الآية تقتضي جميع ما رُوِيَ لِعُمُومَها، كما نقله عن ابن العربي.

(5) . عند تفسير قوله تعالى:**{فأَصْلِحُوا بينَ أَخَويكُم}**، يقول: يُستنتج من الآية أنّ الأخُوة بين المؤمنين وما تقتضيه من حبٍّ ووئامٍ ووحدَةٍ وسلامٍ وتعاونٍ؛ هي الأصلُ في حياة المسلمين، وأنّ التباغضَ والتنازعَ والتقاتلَ خروجٌ عن ذلك الأصل. 249/1.

(6) . الحديث بنصّه من صحيح مسلم برقم 1017: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، ينظر: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج2، ص704.

(7) . وهو فن معروف عند أهل البلاغة وهو أن يأتي المتكلّم بمعنى يتوجّه عليه دخل، فيأتي بما يخلّصُه من ذلك، والفرق بين الاحتراس، والتكميل، والتتميم أنّ المعنى قبل التكميل صحيح تامٌّ، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمّل بها حُسنَه إما بفنٍّ زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمّم نقصَ المعنى ونقص الوزن معاً، أما الاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، ت: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص245.

(8) . (هذا وإن كان معدودا من علم الإعراب لكن له تعلّق بعلم المعاني، وذلك أنّ الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة، وهو تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423هـ، ج2، 79.

(9) . هذا النوع سمّاه قومٌ المقلوب والمستوي، وسمّاه السكاكي: مقلوب الكلّ، وعرّفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس، ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004م، ج2، ص36.